## الدرس السابع: كتاب "البيان والتبين" للجاحظ

تميز العصر العباسي بكثير من المميزات على جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والعلمية، فراح العرب يترجمون الثقافات الأخرى، خاصة الفرس والهنود واليونان، فظهر الاهتمام بالبلاغة واللغة حيث أخذ المعتزلة يعنون بالبحث فيهما، ومنهم الجاحظ، الذي جمع بين القدرة على الجدل والتفكير والبراعة في الذوق والأسلوب، همه الدفاع عن اللغة العربية بكل ما أوتي من قوة.

### 1. نبذة عن الكاتب

الجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، يكنى بأبي عثمان، ويلقب بالجاحظ لجحوظ عينيه، ولد سنة 159ه بالبصرة، عاش حياة متواضعة، إلا أنه لم يترك العلم والمطالعة، درس علم الكلام والاعتزال على يد أبي إسحاق النظام وتأثر به، كما أنه درس الفلسفة والمنطق والرياضيات والتاريخ والسياسة والأخلاق...، درس على أبي عبيدة، والأخفش، والأصمعي...وغيرها. أصيب الجاحظ بالفالج في أواخر عمره وتوفي سنة 255ه بالبصرة. له عدد كبير من المؤلفات منها:

أ. البخلاء
ب. الحيوان
ت. الرسائل

### 2. نبذة عن الكتاب

كتاب "البيان والتبين" أهم مؤلفات الجاحظ الأدبية، وأكثرها تداولا بين النقاد وعلماء الشعر، يقع في أربعة أجزاء، ألفه الجاحظ لعدة أسباب أوردها في كتابه:

1. أراد أن يثبت أن اللغة العربية حية ببلاغتها وفصاحتها، وتفوق العرب على غيرهم من الفرس والهند والترك في الشعر والعروبة، الخطابة.
2. أراد الجاحظ أن يرد على الشعوبيين الذين كثرت مؤلفاتهم في عصره، فعابوا على العرب عاداتهم وتقاليدهم في خطبهم منهم أبو عبيد معمر بن المثنى الذي كان حاقدا على العرب ساخطا عليهم.

تناول الجاحظ في كتابه البيان والتبين موضوعات متفرقة، مثل علم الادب والبيان، وفن القول، ووجوه البلاغة والفصاحة، وآفات اللسان، كما خصص بابا واسعا للخطابة لأنها كانت في عصره رمزا للفصاحة والبلاغة، كما تناول الكثير من نماذج الشعر والحكم والأقوال، وذكر بعض القضايا الموجودة في عصره: كقضية اللفظ والمعنى، والقديم والحديث، والسرقات، جمع الجاحظ في كتابه بين الجد والهزل.

### 3. أهم القضايا في الكتاب

أ. طرح الجاحظ قضية "البيان" الذي هو الإيضاح، وإظهار المعاني الكامنة في صدور العباد المتصورة في أذهانهم، مهمته التبليغ والإفهام والإقناع والتفهم، يقول:"البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان". لينتقل إلى تحديد شروط البيان والمتمثلة في : سلامة النطق، وطلاقة اللسان، وعدم تنافر الألفاظ.

ب. من القضايا التي طرحها الجاحظ قضية الصراع بين القديم والحديث، فكانت نظرته توفيقية فلا يفضل القديم على المحدث، بل فضل الجيد المتقن النفيس، مهما كان الزمن الذي قيل فيه، لذلك فضل أبا نواس ورأى فيه الكمال والجمال، وفضله على المهلهل.
ت. قضايا تتصل بالنثر، مثل حديثه عن الخطابة التي أفاض فيها، وعدها أداة السيادة والزعامة، واستطرد الحديث عن المبدع، الخطبة، والمتلقي.

### 1. المبدع

وأول المؤهلات التي لابد أن تتوفر في المبدع منها: الاستعداد الفطري، والدربة، والمران. وأول العيوب التي تلحق الخطيب والتي قسمها قسمين: عيوب طارئة: التسبب عرقا، الرجفة. وعيوب دائمة: وهي الخلقية التي لا يمكن أن يتخلص منها:

### 2. الخطبة

أما النص فلا بد لها من شروط لنجاحها: كحسن الابتداء، والاستشهاد من القرآن والحديث والشعر، وإيراد الأدلة العقلية والمنطقية لإقناع المتلقي، والخاتمة التي لا بد أن تكون مختصرة كآية تجمل موضوع الخطبة.

وتحدث عن أنواع الخطب: 1. الخطب السياسية، 2. الخطب الدينية، 3. الخطب الاجتماعية.

### 3.المتلقي

كما تحدث عن المتلقي، ودعا إلى ضرورة درس حالات المستمعين، وتقدير حالاتهم النفسية، ومراعاة المقام الذي يخطب فيه.

### 1 الكتاب في ميزان النقد

أ. ما يعاب على الكتاب أن الجاحظ لم يقدم بمقدمة له، وإنما دخل مباشرة في الحديث عن العي من القول.
ب. لم يخضع كتابه للتنظيم هذا ما أشار إليه الجرجاني.
ت. لم يضع لنفسه منهجا في تأليفه بأن يتناول فكرة معينة أو اتجاها محددا حتى يستكمل جميع جوانبه ويحوطه بآرائه لكي يخرج متكامل النسج، بل كان دأبه في تأليفه أن يرسل نفسه على سجيتها، فلا يتقيد بنظام محكم يترسمه ولا يلتزم منهجا مستقيما يحذوه، لذلك عيب له الاستطراد.

في الأخير يمكن القول أن كتاب الجاحظ "البيان والتبين" يعد موسوعة خدمت العربية، وعلومها، والبلاغة وعلومها، واللغة والأصوات، والدرس الأدبي، والنقدي. رغم أنه لم يؤلف دراسة مستقلة في القضايا النقدية، إلا أنه جمع في كتابه مختلف الفنون التي أشار إليها أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين، بأنه يصعب إخراج ما في الكتاب من فنون. لذلك مهد الطريق لمن بعده أمثال أبو هلال العسكري.